بعض الأهداف التى ينبغى أن يحققها...
التخطيط الاقتصادى للأمة الإسلامية

هناك أهداف عامة تتحقق تلقائياً فى الحياة الاقتصادية الإسلامية، هذه الأهداف يلمحها الإنسان من خلال نصوص الشريعة، ومن أحكامها، وفروع هذه الأحكام وهى وإن كانت تتحقق تلقائياً إلا أن الدولة من واجباتها أن تساعد فى تحقيقها، أو أن تفرض تحقيقها، على أن نعرف أن الوسائل لهذه الأهداف يجب أن تكون إسلامية بحتة كما أن الأهداف إسلامية:

١ – أن يكون اقتصاد الأمة الإسلامية اكتفائياً..

٢ – أن تؤمن لكل مسلم بل لكل إنسان فى الأرض الإسلامية حاجاته الأساسية..

٣ – أن تعمر الأرض وتستخرج طاقاتها إعماراً واستخراجاً كاملين..

٤ – تأمين الحاجات الأساسية للأمة كالمواصلات وغيرها..

٥ – تسخير الطاقات كلها لإنشاء القوة العسكرية المستقلة والمتفوقة بقدر الإمكان..

٦ – اقتصاد عادل لا ضرر ولا ضرار فيه..

هذا ما سنتحدث عنه فى هذا الباب فقرة فقرة..

١ – اقتصاد كفائى...

نلاحظ أن الله عز وجل أمر المسلمين بالجهاد الدائم، وعلى هذا فإن العالم فى الأصل يمكن أن ينقسم إلى قسمين دار حرب ودار إسلام، ولما كان احتمال الحرب قائماً، بل هو الأصل، فشىء عادى أن تكون الأمة الإسلامية فى حالة استغناء عن غيرها، وهذا منطق البداهة، فإذا أمرك الله بالحرب فعليك أن ترتب أمورك على أساس الاكتفاء بما عندك، والاستغناء عن الآخرين، وعلى هذا فإن على الأمة الإسلامية أن تخطط من أجل وجود الاقتصاد الكفائى.

كما أنه شىء عادى أن نحرر أوضاعنا الاقتصادية من سيطرة الكافرين، حتى فى الأشياء البسيطة، وقد روى أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة كانت السوق بيد اليهود فانشأ الرسول ﷺ للمسلمين سوقاً أخرى.

كما أنه شىء عادى ألا نعتمد على غيرنا فى أى صناعة أو مورد، وقد روى عن الرسول ﷺ قوله لإنسان يقاتل بقوس فارسية: (ألا قاتلت بقوس عربية) – أو كما قال عليه الصلاة والسلام – والكلام قبل أن يصبح الفرس مسلمين.

وعلى كل فهناك أصل متفق عليه هو أن كل علم احتاجه المسلمون فهو فرض كفاية كما سنرى فى السياسة التعليمية. من طب لصيدلة لصناعة لهندسة..

وما نص الفقهاء على ذلك إلا لإغناء الأمة عن غيرها، إذ ليس المقصود بالعلم بالصناعات وغيرها إلا إقامتها، والا فالعلم بصناعة ما وحده لا يحل مشكلة المسلمين.

لهذا كله فليس أمام المسلمين خيار فى هذا الموضوع، ولكن لا يعنى هذا تحريم التجارة والعلاقات الاقتصادية مع الآخرين، فذلك شىء جائز، وإنما المقصود أن نكون مع هذه العلائق فى حالة اكتفاء واستغناء.

والأمة مكلفة بهذا على قدر الطاقة، والله عز وجل جعل الأرض الإسلامية مليئة بالخيرات والبركات، ولو أحسن المسلمون واتحدوا، لاحتاج العالم إليهم ولاستغنوا عن العالم، فعندنا ٧٥ فى المائة من المواد الخام فى العالم و٨٥ فى المائة من احتياطى البترول العام، هكذا يقولون والله أعلم.

٢ - اقتصاد تنمية وإعمار...

قال تعالى على لسان صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ [هود: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان: ٢٠].

من هذا كله نفهم أن الكون مسخر للإنسان، وأن من حق الإنسان أن يستفيد من كل ما فيه، وأن إعمار الأرض هدف يسعى له الإنسان كهدف مرحلى للآخرة ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ [القصص: ٧٧] وحض الإسلام على الإعمار لا يعدله حض آخر حتى أمر رسول الله ﷺ من بيده فسيلة أن يغرسها حتى فى حالة قيام الساعة.

والإعمار فى العادة لا يتم إلا بوجود العامل البشرى المختص. والإمكانيات المالية، وتنظيم ذلك على أسس عادلة، وسنرى فى باب السياسة التعليمية كيف أن الله تعالى فرض على الأمة أن يكون فيها اختصاصيون فى كل جانب من جوانب الحياة، ورأينا كيف أن النظام الاقتصادى الإسلامى يجعل فى يد كل فرد مالاً، ويجعل بيت المال عامراً، ورأينا كيف أن النظام الاقتصادى الإسلامى أعدل نظام وأكمله.

فإذا ما طبق الإسلام تطبيقاً سليماً صحيحاً، عمرت الأرض بالحياة، كما تعمر بالعدل والأمن والحق.

٣ - اقتصاد كفائى...

(جاء بلال رضى الله عنه إلى عمر رضى الله عنه حين قدم الشام وعنده أمراء الأجناد فقال: يا عمر يا عمر، فقال عمر رضى الله عنه: هذا عمر، فقال: إنك بين هؤلاء وبين الله وليس بينك وبين الله أحد فانظر بين يديك ومن عن يمينك ومن عن شمالك فإن هؤلاء الذين جاؤوك - أى أمراء الأجناد - والله أن يأكلون إلا لحوم الطير فقال عمر رضى الله عنه: صدقت، والله ما أقوم من مجلسى هذا حتى تكفلوا لى كل رجل من المسلمين بمدى بر، وحظهما من الخل والزيت فقالوا: نكفل لك يا أمير المؤمنين، هو علينا قد أكثر الله من الخير وأوسع فقال: فنعم إذن)...

(دخلت زوجة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عقب توليته الخلافة فوجدته يبكى فقالت: ألشىء حدث؟ قال: لقد توليت أمر أمة محمد ففكرت فى الفقير الجائع والمريض والضائع، والعارى المجهود، والمقهور والمظلوم، والغريب والأسير والشيخ الكبير، وعرفت أن ربى سائلى عنهم جميعًا، فخشيت ألا تثبت لى حجة فبكيت).

ويقول ابن حزم: (وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه، وفى اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة)..

من هذه النصوص نتبين أن مسئولية الدولة الإسلامية أن تؤمن لكل إنسان الحاجات الأساسية من مطعم وملبس ومسكن وزوجة.

ورأينا كيف يتم ذلك، كما رأينا أنه حتى الذمى يؤمن له من بيت المال ما يكفيه، فلا يجوز أن يبقى فى الأرض الإسلامية إنسان لا تؤمن له حاجاته الأساسية، والدولة تعرف ذلك، وفى قصص الخلافة الراشدة غناء أى غناء فى تأكيد هذا المعنى.

٤ - اقتصاد يحقق حاجات الأمة...

ونقصد أن تؤمن للجماعة كجماعة، أو للأمة كأمة كل لوازمها، فعندما قال رسول الله ﷺ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته) وعندما قال عمر. (لو عثرت شاة على شط الفرات لخشى عمر أن يحاسبه الله عنها لم لم يعبد لها الطريق) أصبح واضحًا من القاعدة العامة ومثلها التطبيقى: أن كل ما تحتاجه الجماعة ينبغى أن تؤمنه الدولة المسلمة لأبنائها، فإذا احتاجت للمواصلات على اختلاف أشكالها فيجب تأمينها على قدم المساواة للجميع وإذا

احتاجت للمشافى فيجب تأمينها، وإذا احتاجت للأدوية فيجب تأمينها، وإذا احتاجت لأنواع من العلم فيجب تأمينه، وإذا احتاجت لموظفين لتسهيل أمور معاملاتها كان لها ذلك..

وعلى هذا فإن على إمام المسلمين أن يدرك حاجات الأمة فى كل الجوانب، ويسخر المال العام لسدها وإيجادها حتى لا تحس الجماعة بحاجتها لشيء ما.

٥ - اقتصاد حربى...

قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

من هذا النص يتبين أن المسلمين عليهم أن يكونوا أقوياء ليرهبوا أعداءهم فى الداخل والخارج، وسيمر معنا فى السياسة العسكرية كيف أن على المسلمين أن يخضعوا العالم لسلطان الله عز وجل، وهذا لا يتم إلا إذا عبأ المسلمون أنفسهم تعبئة جيدة، وجعلوا نظام حياتهم العامة والاقتصادية حربياً، والآية أمرت ببذل الاستطاعة فما دام فى المستطاع أكثر فنحن مطالبون به، وقضايا الحرب فى عصرنا مرتبطة بقضايا الاقتصاد إلى حد كبير من حيث إيجاد المصانع اللازمة، وتأمين العتاد الكافى، والامدادات التى لا تنقطع، وترتيب أمور الأمة على أساس معين، وجعل البناء بشكل خاص، وأشياء كثيرة جداً يعرفها المختصون، نحن مكلفون بها.

وهذه قضية لا يتساهل بها أبدا:

﴿ **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ [النساء: ١٠٢] أنه ما لم نصنع حياتنا على هذا الأساس فنحن آثمون..

* * *

٦ - اقتصاد عادل لا ضرر فيه ولا ضرار...

إن تحقيق العدل أهم قضية فى نظام الحكم الإسلامى، ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [النساء: ٥٨] والعدل قضية مراعاة فى كل التشريع الإسلامى وكجزء من العدل أن لا يكون هناك ضرار ولا ضرر، وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (لا ضرر ولا ضرار). ولذلك فإنه فى نظام اقتصاد إسلامى لا يجد الإنسان إلا عدلاً، ولا يجد ضراراً أو ضرراً.

فمن الصور التى ذكرها الفقهاء أن بيع المضطر وشراءه فاسد لكونه دفع أكثر من سعر المثل بدافع الاضطرار.

وكما يكون هذا فى البيع يكون فى الإجارة، فلو استغل أرباب العمل حاجة العمال للعمل، وأعطوهم أقل من أجور المثل، فأنهم يجبرون على دفع أجر المثل لهم.

ولو اتفق أهل سوق على رفع السعر ليس لهم ذلك، وأجبروا على إنهاء اتفاقهم، ولو تلاعبت شركات فى الأسعار فوقع ضرر بالناس ليس لها ذلك، وتجبر على عدمه، وقد منع الفقهاء تلقى الركبان حتى لا يرتفع السعر على الناس فيتضرروا به، وأجاز الفقهاء للامام التسعير إذا وقع حيف من قبل الباعة.

والصور التى تكلم الفقهاء عنها كثيرة جداً وتطبيقاتها كثيرة جداً وهى معروضة بالتفصيل فى كتب الفقه، وكل ذلك يؤكد العدل، ويحقق المصلحة التى لا ترجع إلى أهواء الناس، وإنما إلى موازين الشارع الذى ما ترك خيراً إلا وأمرنا به، ولا شراً إلا ونهانا عنه، ومن ابتغى الهدى فى غير كتاب الله أضله الله..

وبهذا ينتهى ماله علاقة بالسياسة الاقتصادية.

* * *

السياسة التعليمية والإعلامية

السياسة التعليمية والإعلامية لأمة تتعاونان على إبراز شخصيتها، والشعور بالذات عندها، مع شيء زائد تؤديه السياسة الإعلامية هو مخاطبة أعداء الأمة بلسان الأمة، دفاعا عنها، أو تبريراً لمواقفها، أو دعوة لمبائها، أو تخذيلاً لأعدائها، ولارتباط هذين الجانبين جعلناهما تحت عنوان واحد.

والسياستان التعليمية والإعلامية فى الإسلام تقومان علي اتجاهات منفردة، لقضايا متعددة، كما أن لهما أهدافا متعددة منفردة وعلى الأمة فى برامجها ومناهجها أن تحقق هذه النظرات وهذه الأهداف.

وسنكتب فى هذا الموضوع فقرات خمسًا عن جوانب لابد من مراعاتها فى السياسة التعليمية للأمة الإسلامية وهذه الفقرات هى:

الفقرة الأولى: الحضارة الإسلامية والسياسة التعليمية المناسبة لها.

الفقرة الثانية: الشخصية الإسلامية، وتفجير طاقاتها، والسياسة التعليمية المناسبة لذلك.

الفقرة الثالثة: العلم والتكليف فى الإسلام، والسياسة التعليمية المنفذة لذلك.

الفقرة الرابعة: الإنسان ذكر وأنثى، والسياسة التعليمية المنمية لرجولة الرجل. وأنوثة الأنثى.

الفقرة الخامسة: التكامل فى بناء الشخصية، والسياسة التعليمية المناسبة من أجل إخراج الإنسان من كل تناقض..

ثم نذكر تعقيبا حول الإعلام وأجهزته فى نظام إسلامى خالص، وكيف أن عليه أن يساعد النظام التعليمى فى تحقيق الغايات المذكورة فى الفقرات السابقة.

* * *

الفقرة الأولى: الحضارة الإسلامية والسياسة التعليمية والإعلامية المناسبة لذلك:

(١)

حضارة أمة ما هى مجموع ثقافتها ومدنيتها.

وثقافة أمة ما هى مجموع الجوانب الفكرية والروحية والسلوكية والأخلاقية لها.

ومدنية أمة ما هى مجموع الجوانب المادية لها.

والناتج الحضارى لأمة يكون عادة حصيلة امتزاج الجانب المدنى بالجانب الثقافى.

وهنالك نوعان من الحضارة: حضارة إسلامية، وحضارة جاهلية. فالحضارة الإسلامية هى التى تقوم على الثقافة الإسلامية ويكون الناتج الحضارى فيها متناسباً مع هذه الثقافة.

وما عدا ذلك فإنها حضارة جاهلية.

(٢)

ونمو مدنية ما وارتقاؤها لا يتوقف على ثقافتها دائماً، بل يتوقف على عوامل كثيرة، وقد يكون إحداها الجانب الثقافى، وقد لا يكون، وهذه العوامل هى:

١ - استغلال الطاقات الكونية الظاهرة والباطنة استغلالاً تاماً.

٢ - الاستفادة من الوقت استفادة تامة.

٣ - وجود الإنسان المختص الماهر فى اختصاصه.

٤ - كفاية الاختصاصات لكل حاجات الأمة.

٥ - حكم يؤمن استقراراً.

فعلى مقدار نمو هذه الجوانب وتكاملها يكون رقى مدنية ما، وبمقدار ضمور هذه الجوانب أو بعضها يكون ضمور مدنية ما.

(٣)

وقد تستطيع أمة ما أن تكون مدنية قمة، ولكن لا توجد أمة أبداً مرشحة لتكوين حضارة قمة إلا الأمة الإسلامية.

لأنها وحدها التى تملك مقومات مدنية القمة، وعندها ثقافة القمة. أما الأمم الأخرى، فليس لها إلا ثقافة جاهلية وضيعة، فهى وإن امتلكت مقومات مدنية القمة، لكنها لا تستطيع لانحطاطها الثقافى أن تشكل الحضارة العالية الراقية..

فالتقدم فى تسخير الكون لا يعنى بالضرورة تقدماً فى الأخلاق، فلو استطاع لص أن يستخدم بيتاً عظيماً فلن يجعله هذا البيت غير لص.

وأمة متأخرة أخلاقياً وروحياً وسلوكياً وفكرياً، لا يمكن أن تكون متحضره حضارة راقية، ولو وصلت إلى القمر أو إلى المريخ.

(٤)

والجانب الثقافى فى حضارة ما، هو أعظم جانبيها. فالنبات والإنسان يشتركان فى الاستفادة من هذا الكون فكون الإنسان سخره واستفاد منه ومن غيره أكثر، إنما كان ذلك بخصائصه الإنسانية العالية، ومن هناك كانت ميزته. فإذا فقد الإنسان خصائصه العليا، لم يعد الجانب الثانى ذا قيمة. فأمة فقدت خصائصها الإنسانية أى أصبحت ثقافتها متأخرة، أمة منحطة حضارياً، ولو ارتقت مادياً، وأمة تمت خصائصها

الإنسانية، وكانت ثقافتها صحيحة وراقية، هى التى يمكن أن تطلق عليها كلمة متحضرة ما دامت تسخر الكون بقدر طاقتها لحاجتها.

ومن ثم أعظم لحظات الحضارة البشرية، تلك اللحظات التى شهدت جيل الصحابة، حيث وصلت الخصائص الإنسانية إلى درجة لم يشهد لها العالم مثيلاً، ولهذا قلنا إن الأمة الإسلامية يمكن لها وحدها أن تخرج حضارة القمة.

(٥)

وإنما كانت الأمة الإسلامية وحدها مرشحة لحضارة القمة، لأن مقومات المدنية كلها قد طولبت بها الأمة الإسلامية، كأعلى ما يكون الطلب، هذا مع كون الثقافة الإسلامية هى الثقافة الوحيدة المتكاملة من حيث كونها تعطى الإنسان أعظم الفكر والأخلاق والسلوك. هذا عدا عن كونها حقًا خالصًا، هذا مع إحاطة كاملة بكل حاجات الإنسان، وذلك كله لأنها ربانية المصدر، ثابتة الأصول نامية الفروع.

(٦)

وتأكيداً لاتصال ثقافة أمة بمدنيتها، وتأكيداً لكون الناتج الحضارى يتأثر بثقافة الأمة، نضرب عدة أمثلة:

(أ) البنطلون الغربى العادى أثر عن ثقافة الأم الذى أنتجته من حيث كونه منظوراً به إلى الجانب الجمالى والاقتصادى فقط، ومن حيث كونه متناسباً مع طبيعة جلوس الغربى، وقيامه، وحركته، وعمله، ولكنه من وجهة النظر فى الثقافة الإسلامية:

لا يتناسب مع صلاة المسلم ولا يتناسب مع طريقة قضاء حاجته، ولا يتناسب مع قضية الطهارة، ولا يتناسب مع قضية ستر العورة، ولا عدم تشكلها، وتجسيمها، ولا يتناسب مع الجلسة المعتادة للمسلم فى مسجده أو على مائدة طعامه.

على عكس السروال مثلاً أو الثوب، وكلامنا الآن كله محصور فى ثياب الراحة، أما ثياب العمل، أو ثياب المعركة، فذلك له وضع آخر، إذ شىء عادى أن كل نوع من العمل يحتاج إلى نوع معين من الثياب.

(ب) طراز البناء الغربى، أثر عن ثقافة الغربيين الحالية التى لا يهمها قضية العرض، وقضية حجب النساء عن أعين الغرباء، ولا قضية ستر الإنسان داخل بيته عن أعين الناس، ولا يراعى فيها قضية كون الإنسان داخل بيته غيره خارج بيته، ولكن فى طراز البناء الإسلامى تجد هذا واضحًا، فالبيت مصون عن أن يرى ما بداخله أحد، لأن الحرم أكرم من أن ينظر إليهن، ولأن داخل البيت بالنسبة للمسلم يتبحبح به أكثر مما يأخذ حريته خارجه، والكلام هنا عن بيوت السكن.

وهكذا تجد تأثير ثقافة أمة ما بناتجها المدنى.

(جـ) نوادى القمار واليانصيب، ونوادى الرقص والموسيقى، ونوادى العرى وكشف العورات، ونوادى اللهو والورق والنرد، ونوادى السكر والعربدة، ومحلات السباحة المختلطة، وأمثال هذا كله نام عند الأمم الكافرة، لأن اللهو واللعب عندها هو الهدف العظيم.

أما بالنسبة للأمة الإسلامية، حيث تعتبر الحياة الدنيا ولهوها ولعبها شيئًا تافها، وحيث تعتبر الآخرة والعمل لها هى الهدف، وحيث تعتبر ما تقدم كله أحقر من أن يلتفت إليه المسلم، فتحرمه عليه، فإن أمثال هذه المؤسسات ليس لها وجود فى حضارة إسلامية.

(د) أول ما صنع السلاح الذرى فى العالم، استعمل فى ضرب المدن، فقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وذلك لأن الأمم الغربية ليس لديها موازين صحيحة للغايات والوسائل السياسية، فالغاية تبرر الواسطة، فكان السلاح الذرى كناتج مدنى متأثراً بثقافة الأمة التى صنعته.

أما فى الحضارة الإسلامية فالأمر يختلف:

إن الإسلام لا يجيز قتل الأطفال والنساء والشيوخ الذين لم يشاركوا فى المعركة، ولا نضرب مدينة إلا من باب المعاملة بالمثل، فالأصل عندنا لو أردنا صنع السلاح الذرى، أن نصنعه بشكل نجابه به جيوشاً مقاتلة، ولا نصنع الشىء الآخر إلا من باب الاحتياط لمقابلة عدو بمثل عمله.

(هـ) فى مدرسة غربية يكون المسرح والنادى الموسيقى، وأدوات اللهو والغناء والملاعب التى يقصد منها مجرد اللهو واللعب أشياء أساسية، ولكن فى مدرسة إسلامية يكون أساسيا فيها المسجد، ونادى الرماية، وأدوات التكوين الجسمى الجهادى العالمى.

* * *

هذه أمثلة تبين مدى ارتباط مدنية أمة بثقافتها، وقد توجد بعض النواتج الحضارية المشتركة بين البشر بشكل عام، ولكن طريقة استعمال هذه النواتج وتسخيرها، وطريقة تبادلها، ثم تقييمها ووضعها فى محلها: كل هذا يختلف اختلافا جزئيا أو كليًا. فمثلاً الخمرة كناتج مدنى فقط فى مجتمع كافر، مع أن العنب ناتج مشترك، ولكن طريقة البيع والأكل والتسويق، والنظرة إليه من حيث المصدر والحقوق فيه، تختلف نوع اختلاف ما بين الأمة الإسلامية وغيرها.

وبذلك تدرك عمق ارتباط الجانب الثقافى بالجانب المدنى فى حضارة ما.

(٧)

قلنا أن المدنية تكون كأثر عن مجموعة أشياء:

استغلال الطاقات، والاستفادة من الوقت، ووجود الإنسان المختص، وكفاية الاختصاصات، والحكم المستقر.

وسنضرب هنا أمثلة تبين كيف أن هذه الأمور تؤثر فى رقى مدنية، وانعدامها يؤثر فى تخلف مدنية:

فى منطقة التخلف المدنى اليوم فى العالم تجد أديانًا مختلفة، وأنظمة مختلفة، ومع ذلك تجدها متأخرة مدنيًا، وعندما تدرس أوضاعها تجد أن طاقاتها لا تستغل استغلالاً كاملاً، فلا ظاهر الأرض ولا باطنها يستفاد منه استفادة كاملة، ثم الوقت أكثرة يضيع هباء، ثم الذين يعملون ليس لديهم اختصاص كاف، ثم هناك نقصان كبير فى مجالات الاختصاص، وأخيراً نظام الحكم غير مستقر.

ولكن عندما تدرس وضع ألمانيا الغربية مثلاً فإنك تجد أمة تحطمت فى الحرب العالمية الثانية، ودمر كل شىء عندها، ومع ذلك فانها استطاعت أن تعيد بناءها خلال خمسة عشر عامًا. لأنها استفادة من الوقت، فكان كل ألمانى يعمل عشر ساعات لنفسه واثنتين لبناء ألمانيا، ولأن كل إنسان يعمل بمهارة فى اختصاصه، ولأن الطاقات الظاهرة والباطنة فى الأرض تستغل، ولأن الأمة فيها كفايتها من الاختصاصيين، والحكم فيه استقرار.

وقد تكون هناك عوامل مساعدة، مثل النظام أو الثقة أو المال، ولكن هذه عناصر مساعدة فقط، وليست أساسية، فأمة فقيرة كاليابان استطاعت خلال أربعين عاما أن تصبح دولة كبرى عندما تأمنت لها تلك المعانى الأساسية.

(٨)

ولابد هنا من الاشارة إلى نقطة مهمة هى: فى عصرنا هذا عصر الدعاية تحاول الدولة المتقدمة مدنيًا أن تجعل سبب تقدمها نظامها، وتدعو إلى هذا النظام بهذه الحجة.

فالشيوعيون يقولون لأصحاب البلدان المتخلفة، أن النظام الشيوعى سبب التقدم، والرأسماليون يقولون: إن النظام الرأسمالى هو سبب التقدم. والمبشرون النصارى يقولون: إن النصرانية هى سبب تقدم الشعوب النصرانية والواقع أن هؤلاء غير صادقين.

فمنطقة التقدم المدنى تشمل أنظمة متعددة: النظام الشيوعى فى روسيا والصين، والنظام الرأسمالى فى بعض البلدان الغربية، والنظام الاشتراكى فى بعضها الآخر، والنظام المحافظ فى اليابان، والنصرانية كانت سبب تخلف أوروبا يوم كانت أوروبا متمسكة بها، ولم تتقدم أوروبا إلا بعد نبذها النصرانية، وفى منطقة التخلف

المدنى أنظمة متعددة، منها الرأسمالى الذى يسير ببطء، ومنها الاشتراكى الذى ازداد به التخلف، ومنها بلدان نصرانية، ومنها بلدان هندوسية، ومنها بلدان بوذية، ومنها بلدان فيها إسلام.

فربط التقدم والتخلف بالنظام خديعة كبرى يتسلل بها إلى الشعوب.

لا شك أن النظام أحيانًا، أو الدين الباطل يكون معوقًا، فدين كالهندوسية حيث يكون الإنسان فى خدمة البقر، وتأكل البقر خيراته، وكذلك الفئران، لابد أن يعرقل النمو، ونظام لا تتوفر بجانبه الثقة، يجعل رؤوس الأموال تهرب وتبتعد.

ولكن مع هذا وهذا إذا توفرت الشروط الأساسية التى ذكرناها يمكن أن يتم التقدم المدنى:

ففى النظام النازى حيث الديكتاتورية على أشدها، حدث تقدم مدنى، وفى النظام الشيوعى حيث الثقة معدومة حدث تقدم مدنى، وإن كان هذا وهذا على حساب الإنسان وكرامة الإنسان.

وبهذه المناسبة نقول: إن الأمة المتخلفة فى العادة تعانى عقدة نقص، والمسلمون اليوم متخلفون وعندهم عقدة نقص، وتريد كل الدنيا أن تستغل هذه العقدة فتزيدها وتضخمها، ثم كل من الناس يدعو المسلمين إلى ما عنده، وكلهم مجمعون على حرب الإسلام، وكلهم يقول: يا مسلمون، سبب تأخركم إسلامكم، فاتركوه وصيروا شيوعيين صيروا رأسماليين صيروا نصارى.

والشاب الفارغ ينصرف عن السير الصحيح ليعيش فى هذا الهراء، فلا هو سار فى طريق التقدم الصحيح، ولا هو حافظ على أمجاد أمته وتقاليد دينه، ولكنه أضاع شخصيته، وفقد ذاتيته والحق الذى أنزل عليه.

ولو أنهم درسوا فقط الواقع التاريخى، بصرف النظر عن الحقائق التى سنذكرها، لعرفوا أن كل جانب من جوانب مدنية أوروبا كان بنا ومنا، وأنها لولانا لبقيت غارقة فى ظلامها المتعدد الجوانب.

وفى كتاب (حيدر نامات) وأمثاله غناء أى غناء فى تبيان هذا الموضوع.

(٩)

والثقافة الإسلامية مصدرها الكتاب والسنة والفهوم الصالحة من الكتاب والسنة، فالكتاب أولاً والسنة ثانيًا، والفهوم الصالحة ثالثًا، وإنما ذكرنا الفهوم الصالحة لأن الكتاب والسنة لم ينصا على كل شىء صراحة، فتولى علماء الأمة الإسلامية استنباط الأحكام من الكتاب والسنة لكل قضية عرضت.

فقسم استنبط ما له علاقة بقضايا العقائد.

وقسم استنبط ما له علاقة بقضايا الأحكام العملية.

وقسم استنبط ما له علاقة بقضايا الأخلاق والآداب وكتبوا فى كل آلاف الكتب..

ولا شك أن طالب الإسلام لا يستغنى عما كتبوه، لأن سعة مداركهم، وعلومهم مع تقواهم، جعلت فهومهم من السمو والرقى، ومظنة الصواب، ما يجعل الإنسان مطمئنا إليها.

فلا يحصل الإنسان الثقافة الإسلامية.. إلا بأن يعرف الكتاب والسنة والعقائد والفقه والأخلاق المستنبطة من الكتاب والسنة.

والناس الذين أكثروا النقاش حول الفقه أو الكتاب والسنة مخطئون، فلابد من دراسة الكتاب والسنة لأنهما قد تعرضا لكل شيء، ولكل ما يحتاجه الإنسان نظريا وسلوكيا، ويبقى ما تحدثت عنه علوم العقائد والفقه والأخلاق جزءا مما ورد فى الكتاب والسنة، ثم هما مصدر الهداية والمعرفة، وفيهما ما لم يوجد فى كتاب آخر بلا شك، فالأشتغال بغيرهما عنهما انحراف خطير، وابتعاد عن السنة العملية للصحابة والتابعين، ونقصان هائل فى ثقافة الإنسان، وجعل الإنسان عرضة لقبول الأفكار الناقصة، والدعوات الضالة ولكن لابد كذلك من دراسة العلوم الثلاثة الأخرى، لأنها بسطت بعض الأمور، وأعطتنا أمهات المسائل، ودلتنا على الصواب من احتمالات الفهم للكتاب والسنة، وأعطتنا زبدة المواضيع فى كل جانب، وأعطتنا جوابا على فروع كثيرة لا نستطيع أن نفهمها مباشرة من الكتاب والسنة، وأعطتنا الصورة العملية التطبيقية للكتاب والسنة فى كل عصر ومكان.

عدا عن كون الإنسان لا يسهل عليه أن يطلع على الكتاب والسنة بسرعة، حتى يدركه بعمق كل ما يلزمه فى قضاياه اليومية، بينما المختصرات فى هذه العلوم تعرفك على أهم ما يلزمك، بسرعة ودقة، وهكذا جوانب كثيرة كلها مفيدة تجعل دراسة هذه العلوم لابد منها.

ولا تعارض بين هذا وهذا فمن درس هذه العلوم إنما يدرس فهوم العلماء للكتاب والسنة فى القضايا التى نتعرض لها.

* * *

وعلم أصول الفقه يدلنا على الطريق الذى ينبغى أن نسلكه لاستنباط الأحكام العملية من الكتاب والسنة، أو الطريق الذى سلكه العلماء من قبل.

وعلوم العربية هى التى بواسطتها نفهم الكتاب والسنة.

ولكن هذه العلوم ليست هدفا لذاتها بل هى وسيلة لما قبلها. فعندما تصبح الوسائل غايات وتضيع الغايات تكون كارثة لا مثيل لها.

والمدنية الإسلامية نيبغى أن تنبثق عن هذه المصادر:
الكتاب والسنة والاجتهاد المقيد بهما والنابع منهما.

(١٠)

ولو تساءلنا عن موقف الإسلام من مقومات المدنية لكان الجواب: أن مقومات المدنية فى الإسلام قد أعطيت حقها كاملاً بشكل لا مثيل له من التكامل وهذا تفصيل المسألة:

أما بالنسبة لاستخراج الطاقات، والاستفادة من كل شىء، فقد قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩] وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١].

فالله عز وجل بين للإنسان أن كل ما فى هذا الكون مسخر له ومن حقه أن يستفيد منه.

وقال عليه الصلاة والسلام (إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها) رواه البزار ورواته أثبات ثقات.. وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة).

ومن هذين النصين ندرك مقدار ما حضنا عليه إسلامنا من أجل إعمار الأرض بنية صالحة.

إن الاستفادة من طاقات الأرض ظاهرها وباطنها، حق للإنسان يؤجر عليه عند الله إن صحت نيته فيه وكان مسلمًا، هذا موقف الإسلام من أول مقومات المدنية. أما بالنسبة للوقت فيكفى فيه قوله عليه الصلاة والسلام أثناء الحديث عما يسئل عنه العبد يوم القيامة: (وعن عمره فيما أفناه) ومن أقوال عمر رضى الله تعالى عنه: (إنى لأكره أن أرى الرجل لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته).. أى يضيع وقته، ومن أقوال على رضى الله تعالى عنه: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا)..

والوقت بالنسبة للمسلم حياة، فليس لدى المسلم وقت يضيع فى سكر أو لهو أو لعب أو لغو، إما عمل أو عبادة أو مباح ذو مقصد حسن، والعمل المباح ذو القصد الحسن من العبادة إن صحت النية.

وأما بالنسبة إلى الإنسان المختص، وكفاية الاختصاصات لحاجات الأمة، فقد

اعتبر فقهاء المسلمين أن كل علم تحتاجه الأمة الإسلامية فرض كفاية إذا لم تقم به الأمة ببعض أفرادها أثمت جميعا.

حتى قالوا: (لو احتاج المسلمون إلى صناعة إبرة ولم يوجد بين المسلمين من يحسن صناعتها فكل المسلمين آثمون).

فكل علم من العلوم، وكل اختصاص مفيد، هو فرض من الفروض، ثم قالوا بعد ذلك: والتبحر فى الاختصاص مندوب.

أن يكون عندنا مختصون فى جراحة القلب ذلك فرض كفاية، وأن يكون هؤلاء المختصون متبحرين فى اختصاصهم، فذلك مندوب، وهكذا فى كل علم، وإذن فإسلامنا يريد منا مدنية القمة لا يعلونا معها أحد، كما أن ثقافتنا القمة وبذلك توجد حضارة القمة للإنسان.

قال صاحب كتاب تبيين المحارم:

(وأما فرض الكفاية من العلم فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا، كالطب، والحساب، والنحو، والفقه، والكلام، والقراءات وأسانيد الحديث، وقسمة الوصايا، والمواريث، والكتاب، والمعانى، والبديع والبيان والأصول، ومعرفة الناسخ من المنسوخ، والعام والخاص، والنص والظاهر، وكل هذا آلة لعلم التفسير والحديث، وكذا علم الآثار والأخبار، والعلم بالرجال وأساميهم، وأسامى الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة فى الرواية، والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف من القوى، والعلم بأعمارهم وأصول الصناعات والفلاحة، كالحياكة والسياسة والحجامة).

ومن تأمل هذا الكلام عرف أن الإسلام قد فرض وجود اختصاصيين فى كل فرع من فروع الثقافة الإسلامية والمدنية العالية.

وقال صاحب كتاب شرح التحرير أثناء الكلام عن فرض الكفاية (فيتناول ما هو دينى كصلاة الجنازة، ودنيوى كالصنائع المحتاج إليها).

وقد ذهب بعضهم إلى أن فرض الكفاية فى العلم أفضل من فرض العين، لكن هذا الكلام مرجوح، إلا أنه يدل على مدى الأهمية التى يعلقها فقهاء المسلمين على هذا الموضوع.

ولو أردنا أن نطبق ما قاله الفقهاء على متطلبات عصرنا فإننا نقول:

البترول حتى يستخرج يحتاج إلى خبراء فى علم طبقات الأرض، وخبراء فى كيفية الاستخراج، وخبراء فى صناعة الآلات، وخبراء فى الاستخراج والعمل، وخبراء فى التصفية، وخبراء فى صناعة آلاتها، ويتفرع عن البترول حوالى ثمانين صناعة كلها تحتاج إلى خبراء، وكلها تحتاجها الأمة، فوجود هذا كله من أفراد الأمة المسلمة فرض كفاية.

الزراعة تحتاج إلى خبراء فى التربية، وخبراء فى الرى، وخبراء فى التقاسيم، وخبراء فى صناعة الآلات، وخبراء فى طرق تغذية التربة، وخبراء فيما يصلح للتربة من المزروعات.. وكل ذلك فرض كفاية.

فى الطب ينبغى أن يكون عندنا اختصاصيون فيه جملة، واختصاصيون فى كل جانب فيه بشرياً أو حيوانياً، والداء له دواء، فوجود خبراء فى الأدوية، وخبراء فى صناعاتها، كل ذلك فرض كفاية حتى لو كان دواء واحد لا يوجد بين المسلمين من يتقن صناعته فكل المسلمين آثمون، وأكثر الإثم على من يقدر ولا يفعل.

وهكذا فى الذرة والصناعة والطيران والبحرية.

وهكذا فى كل اختصاص.

فإسلامنا يفرض علينا أن يكون فى أمتنا كفايتها العلمية فى كل فن وعلم نحتاج إليه، كما طلب منا أن يكون كل منا بارعا فى اختصاصه ودائرة عمله.

(إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه)..

هذا ما له علاقة فى الجانب الثالث والرابع من مقومات المدنية، وأما فيما يتعلق باستمرار الحكم فى الإسلام.

فقد جعل الله عز وجل قتل المرتد فريضة ليبقى الصف الداخلى رصيناً، وأمرنا إذا أراد أحد أن يثور على الخليفة الشرعى أن نقتله (من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوه بالسيف كائناً من كان).

وجعل بيد أمير المؤمنين سلطات كثيرة، يستطيع بها أن يؤدب ويعزر ويقتل، سياسة من يستحق القتل، كرأس بدعة وصاحب فرقة.

أن إسلامنا لا يرضى منا أن يكون أحد فى شىء من أمر الخير فوقنا، أو أعلى منا، وأحسن، والنصوص فى ذلك كثيرة: فى غزوة أحد صعد بعض المشركين إلى الجبل بعد انتهاء المعركة حتى علوا المسلمين، فأمر رسول الله ﷺ بإنزالهم بقوله: (لا ينبغى لهم أن يعلونا) فكيف يسمح الإسلام إذن أن يعلونا غيرنا فى كل شىء.

أن سبب ضعفنا وتأخرنا الحاليين بعدنا عن إسلامنا وإلا فهذا هو إسلامنا.

والواقع التاريخى يشهد أن القرون الوسطى فى أوروبا كانت أبشع عصورهم، لأنهم كانوا متمسكين بدينهم الباطل، بينما كانت حضارتنا يومذاك زاهية، وكنا على ديننا العظيم مع هنات، وفى كتاب الدكتور السباعى (من روائع حضارتنا) ما يغنى فى هذا الموضوع.

(١١)

ومن الأشياء الأساسية فى الثقافة الإسلامية:

دراسة السيرة وحياة الصحابة والتابعين، لأن ذلك النموذج العملى لقيام الإسلام غضًا طريًا.

ودراسة التاريخ الإسلامى بوضوح واعتبار وعزة، وصياغة تاريخ وجهة النظر الإسلامية..

ودراسة حاضر العالم الإسلامى جغرافيًا وبشريًا، والتعرف على أحوال المسلمين، عالميًا، ودراسة علاقاتنا مع العالم، ووضع هذا فى إطاره المناسب وكل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية أو المدنية الإسلامية يحتاج إلى اختصاصيين أكثر يسدون حاجة المسلمين.

فإذا ما اتضحت لنا هذه الجوانب كلها، عرفنا أن أول هدف فى السياسة التعليمية لدولة إسلامية هو:

إيجاد اختصاصيين فى كل جانب من جوانب الثقافة أو المدنية، أى فى كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية.

والمسألة تكون على الشكل التالى:

(١٢)

١ - إحصاء... ٢ - تخطيط... ٣ - تنفيذ...

العملية تبدأ بعملية إحصاء لكل أنواع الاختصاصات التى تحتاجها أمتنا: اختصاصات فى الطيران وصناعته، وفى الذرة وصناعتها، وفى الطب وفروعه، وفى الرادار وفروعه، والمواصلات البرقية والسلكية واللاسلكية وفروعها، وفى الحديث وعلومه، وفى التفسير وعلومه، وفى القراءات وعلومها، وهكذا كل العلوم التى تحتاجها الثقافة الإسلامية، والمدنية الإسلامية حتى تكون حضارة قمة، هذه هى العملية الأولى.

ثم تأتى العملية الثانية: الخطة التى تحقق هذا الموضوع على كل مستوى بالشكل الذى ينسجم مع حاجات الأمة ولا يؤدى إلى تضخم جانب على حساب جانب، أو إيجاد بطالة لأنواع من المختصين لا حاجة لهم، بعد أخذ الأمة حاجتها ثم يبدأ التنفيذ برجال أكفأ، ومال مناسب، واستعداد ضخم، هذا هو الوضع العادى إذا أردنا تحقيق هذه المقدمة، وهذا هو الهدف الأول من أهداف السياسة التعليمية فى الإسلام.

* * *

إن الشعوب الإسلامية التى تحررت من سلطان الحكومات الغربية الكافرة. لم تستطع حكوماتها الفاسقة حتى الآن أن تؤمن لها اختصاصات كافية، ولم تستطع أن ترفع من مستوى العامل فى عمله، مع أن بعضها قد مر على استقلاله عشرات من السنين، ولو بدأ أحكامه بمثل ما ذكرناه لكان كل شىء مختلفاً، ولسارت أمتنا فى طريقها السليم.

* * *

الفقرة الثانية: الشخصية الإسلامية وتفجير طاقاتها والسياسة التعليمية المناسبة لذلك

(١)

إن فى الإنسان طاقات، وإن للشخصية الإنسانية جوانب: فهناك الجسد وطاقاته، وهناك العقل وطاقاته، وهناك النفس والروح وطاقاتهما، وهناك الاستعداد الهائل عند الإنسان نحو الخير والشر، وهناك الطاقة الكبرى عند الإنسان لتسخير هذا الكون والأستفادة مما فيه، وهناك الاستعداد للحياة العملية.

هذه الطاقات فى الشخصية الإنسانية، إما أن تطلق فى إطارها الصحيح، أو إطارها الفاسد، وإما أن يطلق بعضها ويعطل الآخر أو تطلق كلها.

والسياسة التعليمية السليمة هى التى تفجر طاقات الإنسان كلها وتفجرها فى طريقها الصحيح.

ولا يوجد أبداً نظام يفعل هذا غير الإسلام العظيم.

(٢)

فى الإسلام (إن لبدنك عليك حقا) (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير) ولذلك كلف الأولياء أن يربوا أولادهم على الفتوة منذ الصغر (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً).

ومن فروض العين فى الإسلام أن يتعلم الإنسان القتال - كما سنرى - ومن أول شروط القتال أن يكون الإنسان ذا لياقة جسمية كاملة.

ففى منهاج إسلامى للتربية والتعليم لابد أن يوجد منهاج متسلسل ومتدرج لكل ما يخرج جسماً قوياً. وذلك يكون بإحصاء التمارين التى يحتاجها الجسم ليكون قوياً مقاتلاً. كالجرى والقفز، والسباحة والملاكمة، والمصارعة والرفع، ثم يمر الطالب على كل منها بدورة مستقلة، فإذا ما انتهى من مرحلة الدراسة يكون قد أخذ حظة الكامل من التربية الجسمية، أما ما نراه الآن من ألعاب رياضية القصد منها مجرد اللهو واللعب وقتل الوقت، فذلك لا محل له فى منهاج إسلامى.

إن ساعة كل يوم للتدريب الجسمى ليست كثيرة فى مدارس إسلامية تريد أن تخرج جيلاً مقاتلاً شجاعاً.

(٣)

والعقل عندما لا يعطى مداه فى التحليل والتعليل والربط، وعندما لا يعرف على الطريق، وعندما لا ينمى.

والذاكرة إذا لم تنم بشكل دائم، وإذا لم تحفظ الشىء العظيم الخالد، فإنها تكون معطلة أو مهملة..

وفى المدارس الحالية تشغل الذاكرة بحفظ التافه من الأدب دون العظيم الخالد، ويلقن الطلاب ألا يحفظوا فتضعف ملكات الحفظ عندهم، ويدرسون الرياضيات والعلوم مبتورة عن تطبيقاتها العقلية فى الوصول إلى الله، فيبقون العقل فى إطار من النظر المحدود.

أما فى منهاج إسلامى فأننا نعلم العقل وننميه، ونعلم الذاكرة وننميها، ونطلق العقل فيما تعلم حتى يصل إلى مداه النهائى الذى من أجله كان.

وروح الإنسان وقلبه كالجسد تماماً، من حيث احتياجهما للغذاء المناسب لهما، ومن حكمة وذكر وعبادة، ولذلك فرضت الصلاة فى الإسلام، وندب الذكر وقيام الليل، ونفس الإنسان فيها نوازع كثيرة من الهوء، فتحتاج إلى ضبط ومن ثم كان الصوم.

(٤)

ففى منهاج تعليمى إسلامى لابد أن تعطى روح الإنسان وقلبه ونفسه حاجاتها، وهذا لا يكون إلا بأن يكون الطالب فى جو مناسب كل يوم.

فى نظام تعليمى حالى تجد الطالب يقضى وقتاً معينا داخل المدرسة ثم يخرج وقد انقطع عن كل ما له علاقة فى المدرسة أو فى جوها، أما فى نظام تعليمى إسلامى فإنه يراعى أن يكون الجو الذى يعيش به الطالب منسجماً مع تعليمه، فيبحث هل الطالب ملتزم مسجد حيه، وملتزم صحابة الخير، وهل له اتجاهات تروى قلبه وروحه، فالطالب فى منهاج إسلامى يرسم له طريقه داخل المدرسة وخارجها، ويطالب فيه وبمقتضياته، وبما يثبت ذلك فى الداخل والخارج، أن الشهادة على سلوك الإنسان بمقتضى علمه، هى التى ينبغى أن تؤهل الإنسان للنجاح فى مرحلة الطلب.

إن شهادة إمام المسجد لطالب بأنه يداوم على المسجد، وشهادة أهل الحى على استقامته - والعقاب على من يكذب من هؤلاء - لا ينبغى أن تقل أبداً عن شهادة المدرسة فى حسن سلوكه.

إن تهذيب نفس الإنسان، والارتقاء بقلبه وروحه وإيمانه، أشياء أساسية فى نظام

إسلامى للتعليم، أما إذا كان العالم لا يفعل هذا فلأنه كافر ونحن مؤمنون، ولأن دينه باطل ونحن أصحاب الدين الحق.

وأخلاق الإنسان كثيرة متشعبة، وقد تنحرف هذه الأخلاق عن طريقها المستقيم، فينقلب التنافس إلى حسد، وقد تموت بعض الأخلاق الحسنة لعدم التنمية، وقد تنمو الأخلاق المنحرفة للسير فيها.

وفى منهاج للتعليم فى الإسلام لابد من تحليل لكل خلق يمكن أن ينمو فى الإنسان، ورده إلى طريقه الصحيح على أساس إسلامى خالص إذ الإسلام وحده شرح للإنسان طريق الخير وطريق الشر، بشكل كامل وسليم.

لتدريس الأخلاق، ومراعاة تطبيقها، وحساب الإنسان عليها علمًا وسلوكًا، داخل الدراسة وأثناءها، أو خارج ذلك، شيء أصيل فى نظام تعليمى إسلامى.

(٦)

وتنمية ملكات الإنسان العملية من أجل تسخير الكون، والانخراط فى سلك الحياة اليومية، شيء لابد منه فى نظام التعليم، فمعرفة الكون، ومعرفة طرق الاستفادة منه، وكيف يستفيد الإنسان من كل جانب فيه، ثم دفع الإنسان فى الحياة العملية واجب تعليمى، وفى عصرنا أنظمة التعليم تدرس جوانب من الكون مبتورة عما يمكن الاستفادة منها، فلا يتخرج الطالب بروح علمية، وخبرة عملية.

إن هذا ينبغى أن يتلافى فى منهاج إسلامى للتعليم، حيث تقدم للطلاب الدراسات النظرية، والتطبيقات العملية، ويفرض على الإنسان أن تكون له مشاركة عملية حياتية فى شيء من شئون الحياة، أو مهنة من المهن.

إن من الأشياء القاتلة فى عصرنا أن يتخرج الطالب وهو عاجز عن كسب قوته إلا عن طريق وظيفة حكومية، فلابد من حل لهذه المشكلة عن طريق فرض تعلم مهنة، فذلك أساسى فى التربية الإسلامية، إذ يقول الخليفة الراشد:

(إنى لأرى الرجل فيعجبنى فاسأل هل له حرفة فإن قيل لاسقط من عينى).

ولا يسقط من عين الخليفة الراشد إلا إنسان ناقص التكوين العملى. ويقول عليه الصلاة والسلام: (إن الله يحب العبد المحترف).

وإعطاء صورة عن الخير والشر فى كل شيء، وجعل الإنسان فى دائرة الخير وإبعاده عن دائرة الشر، وجعله فى بيئة خيرة يعيش فيها، وتفجير طاقات الخير عنده، شيء أساسى فى منهاج تعليم وتربية إسلاميين.

(٧)

ولتحقيق هذه المعانى كلها لابد من:

١ – إيجاد المناهج الدراسية المناسبة لهذا كله..

٢ – جعل المدرسة مسئولة عن الطالب داخلها وخارجها..

٣ – ربط الطالب ببيئة صالحة خارج المدرسة..

٤ – ربط الطالب فى المسجد وبيئته..

٥ – جعل بعض الدروس فى المسجد وإلزام الطالب بحضورهما..

٦ – إقامة دورات سنوية تحدد مدتها تكون مليئة بالوعظ والإرشاد، والمناقشة الصالحة، واستخراج خبايا النفوس السيئة وإصلاحها، والعبادة من صلاة الجماعة، لذكر، لقراءة قرآن، لقيام ليل، لصيام، والتدريب الرياضى والعسكرى..

٧ – الفرض على كل طالب أن يتعلم مهنة ويتقنها، حتى يأخذ شهادة بذلك من الاختصاصيين فيها...

٨ – تخصيص وقت يومى للتدريب الرياضى لكل الطالب عدا عن التدريب الخاص فى دورات، وقد تتحقق هذه المعانى بأشكال كثيرة، والمهم هو أن تتحقق سياسة الإسلام فى هذا الموضوع بتفجير كل طاقة من طاقات الإنسان فى إطارها الصحيح السليم، حتى لا تبقى طاقة معطلة، أو طاقة تسير فى غير طريقها السليم.

* * *

الفقرة الثالثة: العلم والتكليف فى الإسلام والسياسة التعليمية المنفذة لذلك...

(١)

العلم فى الإسلام بعضه فرض عين، وبعضه فرض كفاية، وبعضه واجب، وبعضه مسنون، وبعضه مباح، وبعضه مكروه، وبعضه حرام.

والإنسان قبل البلوغ لا يكون مكلفاً وإنما يبدأ تكليفه بعد البلوغ، فمرحلة ما قبل البلوغ هى مرحلة الإعداد لتحمل المسئولية، والسياسة التعليمية فى الإسلام ينبغى أن يلاحظ فيها مرحلة ما قبل البلوغ وطبيعتها، ومرحلة ما بعد البلوغ وطبيعتها، كما ينبغى أن نقدم للإنسان فروض العين، ونجعله مختصاً بفرض من فروض الكفاية، ونقدم له العلم المفروض والواجب والمسنون والمباح، ونبعد الإنسان عن العلوم المكروهة أو المحرمة.

(٢)

قال الفقهاء: (وأعلم أن تعلم العلم يكون فرض عين، وهو بقدر ما يحتاج لدينه، وفرض كفاية وهو مازاد عليه لنفع غيره، ومندوباً كالتبحر فى علم الفقه، وعلم

القلب، وحراماً كالشعوذة والتنجيم والرمل والسحر وعلم الموسيقى، ومكروهاً كأشعار المولدين من الغزل والبطالة، إلا لحاجات بلاغية علمية، ومباحاً كأشعارهم التى لا سخف فيها).

وقد مر معنا فى الفقرة الأولى ما له علاقة بفروض الكفاية، أما فروض العين التى يطالب كل مسلم بتعلمها فيدخل فيها أشياء كثيرة يجمعها أصلان: معرفة حق الخالق، ومعرفة حق المخلوق على مقتضى الشريعة.

ويدخل فى ذلك معرفة الله والرسول والإسلام، ويدخل فى ذلك معرفة الطريق لإصلاح القلب والنفس وتزكيتهما، ويدخل فى ذلك تعلم الفقه المحتاج إليه الإنسان، كفقه الطهارة والصلاة والزكاة لمن يملك نصابا، والصوم والحج لمن له قدرة عليه، والنكاح والطلاق لمن أراد الدخول فى الزواج، والبيوع لمن يشتغل بها، وكل من اشتغل بشىء وجب عليه علمه، لأن علم الحلال والحرام من العلوم المفروضة على الإنسان، ويدخل فى ذلك علم الأخلاق محمودها ومذمومها، كالرحمة، والأخلاص، وكالحسد، والغل، ويدخل فى ذلك معرفة النواحى الأساسية فى التربية الإسلامية بحيث يكون الإنسان فرداً فى حزب الله، ويدخل فى ذلك تعلم القتال على الرجال والنساء[1] كل بحسب حاله، لأن القتال يكون أحياناً فرض عين، ولا قتال إلا بعلم وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ويدخل فى ذلك أن يعرف الإنسان حداً أدنى من السيرة وحياة الصحابة ويدخل فى ذلك معرفة تجويد القرآن لمن يقرأ ويدخل فى ذلك التعرف على أحوال المسلمين بقدر المستطاع ويدخل فى ذلك علم رد الضلالات المكفرة المنتشرة.

وعلى هذا فالسياسة التعليمية فى الإسلام مهمتها أن تخرج إنساناً أتقن فروض العين علماً وسلوكاً.

* * *

وأما العلم المسنون فهو التبحر فى العلوم المفروضة فرض عين، على كل إنسان على أن لا يؤثر المندوب على الفريضة، وليس كلامنا فى أن يكون هناك اختصاصيون فى كل علم، فهذا فرض كفاية. فمثلاً: حفظ القرآن فرض كفاية ولكن حفظ بعضه مما يلزم الصلاة فرض عين، وحفظه جميعاً سنة عين، وتعلم جزء من الفقه مما يلزم الإنسان فرض عين، والتبحر فى ذلك سنة أما أصل علم الفقه فيجب أن يختص به ناس وهو من باب فروض الكفاية.

---

(١) نقل لى بعضهم أن شيخنا محمد الحامد رحمه الله كان يرى تعليم المرأة القتال على أن يتولى تعليمها أرحامها أو نساء أما فى وضعه الحاضر فلا.

وعلى هذا فالسياسة التعليمية ينبغى أن يراعى فيها تحقيق السنة مع الفرض، على اعتبار أن الفرض لا يكمل إلا بسنة، فالسنة هى تكميل الفرض فى محله، وهى بمثابة السياج الذى يحمى الفرض، فإتقانها دليل على إتقان الفرض، ولكن إهمالها يخشى فيه أن يكون سببا فى نقصان الفرض نفسه.

(٣)

وأما العلوم المحرمة والمكروهة:

فيدخل فيها تعليم الموسيقى، والنحت، والتصوير إذا كان لحى، أما الخط الجميل فذلك مندوب أو مباح، وصور الطبيعة من شجر وجبل وشمس مباح.

ويدخل فى ذلك إبراز تاريخ الكافرين بشكل يمجدهم أو يحببهم، ويدخل فى ذلك تدريس الفلسفات الضالة، والنظريات المنحرفة الحدسية وإعطائها صفة القطعية.

ويدخل فى ذلك دراسة الأدب الخليع الماجن، أو الكافر الفاسق، دون توهين أمره وإضعافه.

ويدخل فى ذلك تدريس ما يتنافى مع الإسلام، وإعطائه صفة الدعوة أو العقيدة، كتدريس الفكر القومى لتأكيد عصبية ما، أو لتكريه شعب مسلم بآخر.

ويدخل فى ذلك تدريس بعض العلوم من غير وجهة النظر الإسلامية، كأن يدرس التاريخ بوجهة نظر كافرة أو ملحدة.

ويدخل فى ذلك تدريس العلوم التى تثير شكوكًا، أو تؤكد شكوكًا. أو يدرس الإنسان شيئاً من وجهة نظر كافرة، وإعطاء ذلك صفة المسلمات، ويدخل فى ذلك دروس الرقص، ويدخل فى ذلك اللهو واللعب، مما لا يعتبر من الرياضة الإسلامية وعلى هذا تراعى هذه القضايا كلها فى السياسة التعليمية.

فلن يكون عندنا دروس موسيقى، ولا دروس تصوير حى، ولن يؤلف فى أى علم من العلوم إلا مسلم مختص ثقة فى دينه، ينظر إلى الأمور كلها من وجهة النظر الإسلامية البحتة.

ولن يكون عندنا كليات للفنون الجميلة.. التى تعتبر تصوير الأجسام العارية جزءا من برامجها.

(٤)

وأما العلوم المباحة فكل علم ليس له صفة مما مر يكون مباحًا، مع ملاحظة أن وجود المختصين فى كل علم فرض كفاية، أما بالنسبة لغير المختصين فيكون تدريسها مباحاً. ويدخل فى ذلك الحساب والجبر والهندسة لغير المختصين، أو من يلزم له شىء من ذلك لعلمه، ويدخل فى ذلك معرفة قوانين هذا الكون ومظاهره وأحواله، ودراسة أحوال البلدان المختلفة من وجهة النظر الإسلامية، ويدخل فى ذلك دراسة الظواهر

الاقتصادية، والظواهر الاجتماعية، على شرط أن يقتصر فيها على الوصف، فإذا وصلنا إلى التعليل حرم أن يكون التعليل متناقضاً مع التعليل الإسلامي، ويدخل في ذلك دراسة الأدب نثراً وشعراً إذا كان من النوع الرصين.

ولابد هنا من ملاحظة ناحية مهمة هي أن لا يكون تعلم هذه العلوم على حساب تعلم العلوم المفروضة فرض عين أو المسنونة والمستحبة.

(٥)

والإنسان عندنا يمر بمرحلتين: مرحلة ما بعد البلوغ، ومرحلة ما قبلها، والمقصود بالبلوغ أنه بلغ مبلغ الرجال، والبلوغ عادة يكون إما بالسن أو بالاحتلام، فإذا احتلم الإنسان فإن ذلك علامة بلوغه، أو حاضت الأنثى فذلك علامة بلوغها، وإذا لم يحدث هذا وذاك فمتى بلغ الإنسان الخامسة عشرة سنة قمرية فقد أصبح بالغاً، وصار مسئولاً أمام الله عن أعماله.

فالمرحلة الأولى إذن مرحلة إعداد لتحمل المسئولية، ولا يكون الإنسان بها مكلفاً لأنه لم تكتمل محاكماته للأمور.

وعادة تكون ملكات الإنسان للحفاظ في هذه المرحلة نشيطة، واستعداداته العلمية كبيرة جداً، أما المرحلة الثانية فتكون استعداداته العملية أكبر، وذلك من حكمة الله فيه لاحتياجه في المرحلة الأولى للعلم، وفي الثانية لشق طريق الحياة الدنيا إلى الآخرة.

(٦)

والمرحلة الأولى ينبغي أن يعطى الإنسان فيها كل ما يلزم لتحمل مسئولية نفسه دينا ودنيا، ويعود على ذلك تعويداً عملياً ومن ثم كان الأمر بالصلاة.

(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع).

وكان الأمر الراشد:

(علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً)..

ومن ثم قص علينا القرآن وصايا الآباء للأبناء:

﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي**

وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣ – ١٩].

ومن ثم ترى الرسول عليه السلام لا يترك الطفل على خطئه بل يقول له (يا غلام.. سم الله وكل بيمينك وكل مهما يليك)..

ويوصى ابن عباس:

(يا غلام.. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن اجتمعوا أن على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف).

ومن ثم كان الصحابة خلال المرحلة الأولى يحفظون أبناءهم القرآن ويقرؤونهم إياه، ويعلمونهم المغازى والسير.

وعلى هذا فالسياسة التعليمية فى مرحلة ما قبل البلوغ ينبغى أن تراعى فيها هذه الجوانب، وهى إعداد الطفل لتحمل مسئولية ما بعد البلوغ فيحفظ من كتاب الله، ويعرف العقيدة والأخلاق والفقه، ويحفظ من السنة، هذا عدا عن تربية جسمه، وتنمية ملكات الشجاعة والبطولة عنده ويعرف على ما يعتز به من تاريخ، ويعرف على المسلمين وعالمهم، ويعرف الكون حوله تعريفًا إسلاميًا، ويعود على الجوانب العلمية التى تلزمه، سواء كانت دينية أو دنيوية وتهيأ له الأجواء المناسبة للتطبيق العملى، ويتعاون مع أسرته فى هذا، ويربط فى المسجد والبيئة الصالحة، ويلاحظ تطور سلوكه وانسجامه، ولا يسكت على خطأ صدر منه.

(٧)

ونقترح لتحقيق كل ما مر فى هذه المقدمة أن يكون التعليم عندنا على مرحلتين المرحلة الأولى: وتكون لصياغة الشخصية الإسلامية، وللتحقق بفروض العين وسننها، وتنقيح الذهن وتنمية الجسم، والتعود على الكفاح والجهاد.

والمرحلة الثانية تكون خاصة بالاختصاص والثقافة الإسلامية، وعلى هذا فإذا ما انتهى الإنسان من المرحلة الأولى ونجح عمليًا وسلوكيًا، أسريًا ومسجديًا، نظر إلى أى اختصاص يمكن أن يتجه إليه مما يلائم وضعه وشخصيته ويتفق مع حاجات الأمة.

فإذا ما وجه إلى اختصاص أعطى كل ما لده علاقة به مع دورس الثقافة الإسلامية: الأصول الثلاثة الكتاب - السنة - العقائد - الفقه - الأخلاق العربية وفروعها، من أدب إسلامى، وبلاغة، ونحو وصرف، وإملاء ومفردات وعروض - حاضر العالم الإسلامى - التاريخ الإسلامى - أعداء الإسلام والمتآمرين عليه..

الدراسات المعاصرة للإسلام، والهدف هو أن يوجد الإنسان الذى تحقق بفروض العين واختص بفرض من فروض الكفاية..

الفقرة الرابعة: الإنسان ذكر وأنثى والسياسة التعليمية المنمية الرجولة الذكر وأنوثة الأنثى...

قال تعالى على لسان أم مريم: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]..

مر معنا فى الفصل السابق ما تتميز به المرأة عن الرجل، والآثار الفطرية والعقلية لذلك، ورأينا كيف أن الإسلام أخذ بيد الإنسان فى هذا الموضوع إلى كامل ما تقتضيه الفطرة، ويقتضيه العقل المجرد عن الهوى، ولا شك أن نظام التعليم عليه أن يراعى هذا الوضع، ومراعاة هذا الوضع تكون:

١ - بإيجاد مناهج خاصة لدراسة المرأة.

٢ - بنوعية التأهيل الذى تؤهل له المرأة.

٣ - بتخصصها فى بعض الجوانب المناسبة لها.

٤ - فالمناهج الدراسية للمرأة يراعى فيها تعليمها التكليف المناسب لها، كما يراعى فى تعليمها الكتابة، كما يراعى فيها تعليمها كيف تكون زوجة صالحة، وأماً صالحة، ومربية صالحة، وربة بت صالحة، كما تنمى عندها الملكات الأنثوية من العفة والحياء والبعد عن مواطن الشبهات إلى معانى الشرف والكرامة، هذا هو الشىء الأساسى فى تعليم المرأة: أن نؤهلها لتكون امرأة صالحة مسلمة وزوجة وربة بيت.

ثم هناك قضايا من التخصص تليق بالمرأة، فتطبيب النساء وتمريضهن والخياطة النسوية، بعض أنواع الإنتاج البيتى، وتعليم البنات، وأمثال ذلك كله أولى به المرأة، فالسير بالمرأة فى هذا الطريق مهم إذا لم يؤد ذلك إلى الإخلال بواجباتها الإسلامية.

ونتيجة لهذا فإننا نرى ما يلى:

أن تكون عندنا مرحلتان فى تعليم البنات:

١ - **المرحلة الأولى**: وتنتهى بأدنى سن البلوغ لا تتعلم فيها المرأة إلا ما له

علاقة بشأنها كامرأة: التكاليف المكلفة بها، شئون البيت – شئون الطفل – شئون الزوجية – ويركز فى هذه المرحلة على تعليمها الكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] فتكثر فى هذه المرحلة دروس القرآن ترتيلا وتفسيراً وحفظاً، وتكثر دراسة السنة، فلا تمضى هذه المرحلة إلا وقد أحسنت المرأة قراءة كتاب الله وفهمته، وحفظت الكثير وقرأت كتاباً من أمهات كتب الحديث الكبيرة المعتمدة، وهذه المرحلة هى التى ينبغى أن تنتهى عندها دراسة المرأة فى الأحوال العادية.

وذلك لأن مجرد خروج المرأة من بيتها، واعتيادها على الخروج اليومى: يؤثر تأثيراً ما على وضع أنوثتها.

٢ – **المرحلة الثانية**: وهذه لا تكون إلا لبعض النساء وضمن شروط كثيرة، وفى حدود حاجات الأمة، وذلك أن هناك أموراً أليق بالنساء: كتطبيب النساء للنساء، وتمرين النساء للنساء، وتعليم النساء للنساء، أمثال هذه القضايا تحصى ويحصى كم يحتاج إليها من نساء وعلى قدر الحاجة يختار ممن تجاوزت المرحلة الأولى ان تتخصص فى جانب من هذه الجوانب بالشروط الشرعية من ستر وحجاب إلى غير ذلك.

* * *

ولابد هنا من الإشارة إلى شىء هو أن المرأة المسلمة خلال العصور كانت تتلقى علماً وقد نبغت مسلمات كثيرات فى الفقه والحديث والأدب، ولم يكن المكان الذى نمى نبوغهن غير بيوتهن، ولعل أعظم شاهد على ذلك واقع شنقيط البلد الإسلامى حيث تجد فى كل بيت مجموعة عالمات، قد يفقن الرجال، ولازال كبار شيوخهم يذكرون أنهم أخذوا بعض العلوم عن عماتهم، أو أخواتهم، أو خالاتهم، فدل هذا على أنه لا يشترط لتعلم المرأة ونبوغها أن تخرج خارج بيتها، إلا إذا أعتبرنا النبوغ أن تتعلم المرأة ما لا يليق بأنوثتها وهذا لا يقول به إلا مراهق الفكر، منحرف الفطرة، عتيق العقل، إذ ما من مرة تسير المرأة فى طريق لا يناسب أنوثتها، إلا كان ذلك على حساب الرجل، وعلى حساب الأسرة وعلى حساب التخصص، ومن الآن نرى رجالاً يعملون داخل بيوتهم ونساءهم يعملن خارج البيوت.

* * *

إن صناعة الرجال أكرم من كنس الطريق، وأكرم من صنع القنبلة الذرية، ونحن نريد المرأة التى تحسن صناعة الرجال أولاً، وقبل كل شىء، ولن يوجد هذه المرأة إلا تعليم صالح، ومنهاج صالح، ونظام صالح، ومعلمات صالحات. ولا يكون هذا إلا بإحداث تغيير كامل فى أسلوب تعليم المرأة، وفى طريقته، وفى حدوده، ولن

يفيدنا هذا شيء إذا كانت الطبقة التى تمارس تعليم المرأة فاجرة داعرة كافرة، فلابد من إيجاد أو اختيار الجهاز الذى يرتب أمر تعليم المرأة وتربيتها.

وشيء عادى بعد هذا كله أن ينسف جهاز تعليم المرأة الحاضر من أساسه إذ لا يصلح منه إلا القليل والقليلات.

الفقرة الخامسة: التكامل فى بناء الشخصية، والسياسة التعليمية المناسبة، من أجل إخراج الإنسان من كل تناقض

يلاحظ الآن على مناهج التعليم جميعا تناقضها مع بعضها، وفى البلاد الإسلامية يزيد الأمر سوءاً بتناقضها مع الإسلام، ونحن الآن نتكلم لبلاد الإسلام، ففى بلاد الإسلام تقدم المناهج تناقضات كثيرة.

أولاً: من حيث تقديمها نظريات على أنها حقائق عامة، مع أنها ما خرجت عن كونها فرضيات.

ثانياً: من تقديمها نفياً وإثباتاً للقضية الواحدة فى منهاج واحد. فنجد كتاباً فى مرحلة يرفض موضوعاً وينفيه، وكتاباً آخر يثبته ويؤكده.

ثالثاً: من حيث تضخيمها جوانب من الثقافة التافهة، وإضعافها جوانب مهمة، فيتفه الشخص نتيجة لذلك.

رابعاً: أن مناهج التعليم لم تصغ صياغة إسلامية كاملة، بحيث تخرج المناهج من مشكاة واحدة تتفق مع عقيدة المسلم فى كل مراحل التعليم.

خامساً: لا يختار الأساتذة المتفقون فى العقيدة الصالحة، والنوعية الطيبة، وهذا مهم جدا. ففى الحديث: (اتفقا ولا تختلفا فتختلف تربيتكما) فعدم اختيار الأساتذة، وعدم إحسان صياغتهم، وتولى التعليم من هب ودب. كل ذلك أدى إلى إيجاد تناقضات فى شخصية الطلبة.

سادساً: لم تصغ المدرسة ومكتبتها صياغة تتفق مع الخط الإسلامى مما أدى إلى أن تكون المدرسة عنصر تهديم، وأن تكون مكتبة المدرسة أداة تهديم بوضعها كتب التهديم بين يدى الطلاب.

وهذا كله لم يكن عفوياً بل كان بتخطيط خفى خبيث، حتى أن بعضهم قام بعملية تتبع لأحوال بعض وزراء التعليم فى بعض البلدان الإسلامية، فوجد أن سلسلة الوزراء كانت على تسلسل معين، تنتقل فيها الوزارة من يد نصرانى لنصرانى لملحد لفاسد لمستغرب، فكان هناك اتفاقاً على بعض المضامين عند من كان بيدهم الأمر، ولا شك أن منهاجاً إسلامياً عليه أن يلاحظ هذه كله.

وعلى هذا فالسياسة التعليمية الإسلامية ينبغى أن تتجه فى هذا الموضوع إلى ما يلى:

١ – إلى إيجاد المناهج التى تضع الأمور فى مواضعها فلا تتناقض ولا تتهافت، وتضخم ما يستحق التضخيم، وتصغر ما يستحق التصغير، وكل ذلك من وجهة النظر الإسلامية الخاصة.

٢ – ألا يستلم أمر التعليم إلا عناصر من نوعية صالحة معينة وأمينة منتقاة مرباة، حريصة على الخير خاضعة لمناهج خاصة، عملية، وعلمية، وروحية، وسلوكية.

٣ – أن تصاغ المدرسة والمكتبة بشكل إسلامى خالص.

أو نقول بشكل آخر إننا نريد شخصية إسلامية متكاملة، وهذه الشخصية لن تتم إلا بوجود مدرسة إسلامية خالصة، ومكتبة إسلامية خالصة، ومنهاج إسلامى خالص، ومعلم ومدرس إسلاميين خالصين، وإدارة خالصة، ومنهاج إسلامى خالص، ومعلم ومدرس إسلاميين خالصين، وإدارة إسلامية خالصة، بحيث لا يحس الإنسان بشىء من التناقض، وبحيث يكمل الشىء الشىء الآخر. فجزء المنهاج يكمله الجزء الآخر، والمنهاج يكمله المدرس، والمكتبة تكمل عمل هذا وهذا، والمدرسة والإدارة تصهران الشخصية صهراً لتخرج ذهباً.

تعقيب حول أجهزة الإعلام فى نظام إسلامى خالص..

المسجد والمدرسة وأجهزة الإعلام كلها لها مهمة واحدة، إيجاد الرجل المسلم والأمة المسلمة تتعاون مع بعضها على هذا مع زيادة تقوم بها أجهزة الإعلام هى إظهار فكر الأمة على غيره عالمياً، وعلى هذا فان أهداف النظام التعليمى والإعلامى فى داخل الدولة الإسلامية واحدة، ويبقى هدف آخر خارجى لجهاز الإعلام هو أن ينتقد ما عليه نظام العالم من جاهلية فى كل قطر على حدة. فى عقائدها وعباداتها، وأخلاقها وسلوكها وسياستها، وتوهين أمر ذلك كله، ويخاطب كل ناس بلغتهم، ويستعمل لذلك كل ما يلزم من أساليب الدعوة والتأثير، هذا مع بيان الحق الذى عندنا، حتى تقوم الحجة على الناس.

ولعل أخطر قضية يواجهها جهاز الإعلام الإسلامى هو محاولة الوصول إلى الناس دون النزول على مراد أهوائهم وشهواتهم وغرائزهم، بل يحاول رفعها إلى مستوى الإسلام، وهذا يحتاج إلى عقول عبقرية تحسن أن توجد الصيغة المناسبة الحلال، لاستعمال الصوت الحسن، والصيغة المناسبة لجذب قلوب الناس وعقولهم، والصيغة المناسبة لصرف الناس عن الهوى الماجن الكافر الفاسق.

وقد تلجأ الدولة الإسلامية فى أول أمرها إلى عملية فطام لشعبها فلا تسمح لصوت يصل إلى أذن واحد من رعاياها إلا بإذنها.

وهذا لا يتأتى إلا بثقة وإقتناع كاملين تامين، بين الشعب وحكومته الإسلامية البارة المنبثقة عن صلاحه.

إننا لا نرى حرجًا أن تصادر الراديوهات والتليفزيونات التى تستعمل استعمالاً سيئًا وأن تقيد المحلات العامة كالمقاهى والنوادى فلا تفتح إلا على إذاعات الأمة وبرامجها بالاتفاق مع الشعب كله وقد يكون فى هذا صعوبة ولكن يبدو أنه لابد منه لأسباب كثيرة منها:

١ – كى تتخلص الأمة فى المرحلة الأولى من الدعاية المعاكسة ومن التضليل المتعمد.

٢ –كى تتخلص الأمة من مرحلة التمييع الناتج عن أجهزة الإعلام الفاسقة المنتشرة.

٣ – كى لا تقع الأمة فى أيدى أجهزة التجسس الرهيبة التى تلتقط ما تلتقطه من الخارج.

٤ – كى تحصر جوانب التوجيه فى إطار واحد وطريق واحد.

٥ – كى لا تستمع الأمة أو بعض أفرادها لتشويشات العدو وحملاته ودعاياته القائمة على أخطر وسائل التشويش.

إن الأمة التى تفتح أذنها لأعدائها لا يمكن أن تفلح، وعلينا أن نكون شجعانًا فى هذا الموضع وفى غيره من قضايا الإعلام:

إننا سنستبدل الغناء والموسيقى الحاليين بالنشيد والشعر الغنائى الخالص فى حدود ضيقة.

ولن يكون فى أجهزة إعلامنا محل للدعار والفساق والملاحدة والراقصين، ولن نسمح لجهاز راديو أو تليفزيون أن يقتل الأمة ويخدرها ويضللها.

وسنكون على صلة تامة بالشعب بحيث يكون مقتنعًا بهذا كله ومؤمنًا به، ويشعر بما وفرناه عليه من حياة وجد نتيجة لذلك، وبما حميناه فيه من ضلال.

والمسألة بعد هذا كله اجتهاد، ولكنه اجتهاد لتحقيق هدف لابد منه إن لم يكن على هذه الطريقة فعلى طريق آخر والله المستعان.

﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء: ٨٣] ﴿ **وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٤٧].

إننا لن نسمح لأعداء الأمة الإسلامية أن يشوشوا الأمة الإسلامية مهما كلفنا ذلك إذا كان ذلك باستطاعتنا، والفارق بيننا وبين غيرنا فى هذا أننا رجال حق وغيرنا على الباطل.

* * *